الكارثة التي هزت الضمير الانساني

اليمن تشهد اليوم حملة وطنية شاملة لإغاثة منكوبي طوفان العصر

حلت الكارثة الزلزالية المدمرة بدول جنوب شرق آسيا لتحول جزرها ومدنها الساحلية الى أطلال مخلفة مئات الآلاف من القتلى والمفقودين والمشردين والخراب والدمار يقدر بمليارات الدولارات.. وأحدثت الفاجعة صدمة إنسانية مدوية أيقظت الضمير العالمي من سباته العميق فأحيت مسألة التضامن بين الأمم والشعوب في الأوقات العصيبة الناجمة عن النكبات الكارثية والطامات الكبرى ألمت بالعالم وحزت بالنفس البشرية وهزت وجدانها، خاصة إذا ما كانت بحجم الكارثة الآسيوية المهولة من حيث سقوط أعداد كبيرة من الضحايا والدمار الكبير للمد البحري الذي ضرب الثمان الدول المطلة على المحيط الهندي أندونيسيا، سريلانكا، الهند، ماليزيا، تايلاند، ميانمار، جزر المالديف وطالت آثاره الى قارة افريقيا الصومال، مدغشقر، جزر ماريشال، تنزانيا ودول أخرى من بينها اليمن ليكون تسونامي أسوأ طوفان أحاق بكوكب الأرض في العصر الحديث.

ولمواجهة الكارثة التي أحدثها هذا الزلزال فقد وجه فخامة الرئيس/ علي عبدالله صالح بتشكيل لجنة عليا لجمع التبرعات لصالح المنكوبين في الدول التي شملها الطوفان باعتبار ان ذلك واجب يقتضيه الدين الحنيف والقيم الانسانية وتشهد بلادنا وفي اطار هذه الحملة اليوم الخميس يوما مفتوحا لجمع التبرعات في مختلف محافظات الجمهورية.

عرض/ علي العماري

غضب الطبيعة

ويبقى تسونامي أو ثورة المحيط التي ضربت قاع المحيط الهندي قبالة جزيرة سومطرة الأندونيسية الأكثر تضرراً وبقوة ٨,٩ درجة على مقياس ريختر واحدة من أكثر الكوارث الانسانية فتكاً عبر التاريخ ويعد واحداً من أكبر الزلازل البحرية خلال أكثر من مائة عام ومن أقسى الكوارث الطبيعية التي ألمت بالبشرية وأتت على مدن وقرى كاملة مخلفة بذلك مأساة إنسانية رهيبة وكارثة مروعة يصعب أن تمحى من الذاكرة ويندر أن يشهد مثلها التاريخ.

بالنظر الى حجم الخسائر في الأموال والمنشآت والأرواح على نحو عدم الدمار وحل الخراب بجنوب وجنوب شرق آسيا فتحولت المأساة الى كارثة عالمية نتيجة امتداد آثار الطوفان الى سواحل أكثر من ١٢ دولة ومقتل حوالي خمسة آلاف سائح أجنبي قدموا للمنطقة من ١٤دولة غير آسيوية في أوروبا وأمريكا واستراليا.

وتكمن خطورة موجات المد البحري الزلزالية أو تسونامي باللغة اليابانية تنبع من ضخامتها وقوتها وسرعتها وقدرتها على تحويل كل ماهو في طريقها الى مجرد ركام وأطلال وإحداث الضرر على بعد آلاف الأميال من مركز انطلاقها في لحظات، فقد وصل ارتفاع موجات المد الزلزالي المدمرة الى أكثر من عشرة أمتار بعد أن أدى الزلزال انطلاقة هائلة لتنطلق من مركزها قبالة سومطرة بسرعة بلغت ٥٠٠ كيلومتر في الساعة لتضرب كل مايقابلها من سواحل وفي جميع الاتجاهات.

الدول المنكوبة

وكان طوفان العصر «تسونامي» ناجماً عن زلزال مدمر حرك موجات عاتية أسفرت عن كارثة إنسانية ستظل آثارها وتبعاتها باقية الى أمد طويل على الصعد الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية فالذي حدث لم يكن متوقعاً بهذا الكم الهائل من الخراب والدمار والضحايا على الاطلاق ولم يكن الانسان يتخيل مقدرة الطبيعية على إلحاق الضرر به بهذه الضخامة اللامعقولة، صحيح أن عدد القتلى حتى الآن يتراوح مابين ١٥٠ الفاً و١٦٠الفاً مع أن الرقم الحقيقي لم يظهر أبداً بحسب التقديرات الدولية حيث وأن

الدول المنكوبة أو البعض منها تفتقر للاحصاءات الدقيقة لكنه من المؤكد أن أندونيسيا المتضرر الأكبر من هذه الكارثة فقد تخطى عدد قتلاها المائة ألف قتيل أو مايعادل ثلثي العدد الاجمالي لضحايا الموجات القاتلة..

وخاصة في اقليم آتشيه الواقع عند الطرف الشمالي لجزيرة سومطرة وهناك ٧٧ ألفاً في عداد المفقودين و٦٥٥ ألف مشرد..

وتأتي سريلانكا في المرتبة الثانية فقد فقدت بسبب الكارثة مايربو على ٣٠ ألف قتيل و«٨٠٠٠» آلاف مشرد وآلاف المفقودين وتليها الهند في المرتبة الثالثة حيث لقي نحو ١٥٦٣٦ شخصاً حتفهم في مجموعة جزر انداما ونيكوبا المنكوبتين والتي تعد موطناً لقبائل معرضة لخطر الانقراض واعتبر ٥٦٠٠ شخص في عداد المفقودين ولايزال أكثر من ٤٥ ألف شخص من سكان الأرخبيلين البالغ عددهم ٣٥٠ ألفاً يعيشون في مخيمات.

كما منيت تايلاند بخسائر فادحة وزاد عدد الدول الآسيوية المنكوبة الى ١٣ دولة غمرتها موجات المد وبالاضافة الى ذلك فقد تسببت الكارثة في مقتل أشخاص ينتمون الى جنسيات «٤٠» دولة مختلفة وهناك ٧٥٠٠ سائح أجنبي في عداد القتلى أو المفقودين.

وفي كل الأحوال فإن أرقام القتلى والمفقودين والمشردين قابلة للزيادة ولن تعرف الحصيلة النهائية لضحايا الطوفان على المدى القريب مع تعثر عمليات الإنقاذ للبحث عن ناجين وانتشال الجثث وصعوبة ايصال جهود الاغاثة الإنسانية الى المناطق النائية المنكوبة سواءً في اندونيسيا أو الهند أو سريلانكا وتايلاند وغيرها إلا أن الحياة بدأت تعود شيئاً فشيئاً الى طبيعتها في نصف الدول المنكوبة بعد نحو اسبوع على المد البحري.

الاغاثة الانسانية

صور الخراب والدمار أفزعت سكان الأرض قاطبة لتهب دول العالم الغنية والفقيرة لنجدة الدول المنكوبة ومساعدتها بالأغذية والأدوية ومدها بفيالق وفرق الانقاذ المتخصصة لانتشال القتلى والبحث عن ناجين.. رغم فقدان الأمل بالعثور على أحياء من موجات المد البحرية العاتية.

وسرعان ما تحركت الأمم المتحدة والدول الكبرى بعد انتقادات شديدة لتباطؤها في عملية الاغاثة وقد طلبت المنظمة الدولية تقديم مساعدات طارئة بقيمة ٩٧٧ مليون دولار.. ونأمل أن تفي الدول والمنظمات الانسانية المانحة بوعودها في قمتي جاكرتا وجنيف بحضور الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان الذي قام بجولة ستطلاعية للدول المنكوبة.

وحتى الآن وعدت ٥٦ دولة مانحة بتقديم مساعدات بقيمة ثمانية مليارات دولار للاغاثة الطارئة على المدين القريب والبعيد من دون تحديد جدول زمني لتسليم هذه المبالغ وتشمل لائحة المساعدات المؤلفة من ٢٣صفحة مبالغ مالية مخصصة لمختلف هيئات الاغاثة ومساعدات غير مالية من فرق طبية ومستشفيات نقالة وطائرات شحن وسفن وخيم وأدوية وتتصدر قائمة الدول المانحة استراليا ٣٨٧ مليون دولار واليابان ٤٩٦ مليون دولار والولايات المتحدة ٣,٥ مليون دولار ودول الاتحاد الأوروبي حوالي مليار دولار..

انذار مبكر

حالة الهلع والخوف والصدمة غدت سيدة الموقف مع حدوث عشرات الهزات الارتدادية القوية والمتوسطة التي تبث الرعب في نفوس الناجين وتعيد اليهم الذكريات الأليمة لموجات المد العاتية وإن لم تمح صور الخراب والدمار من مخيلاتهم وسجلتها عدسات عيونهم غير مصدقين مآحل بهم في ذلك اليوم المشؤوم وقد انتزعت الأمواج عنوة ومن بين أحضانهم فلذات أكبادهم واخوانهم وآبائهم وكل ما يملكون لكنهم مازالوا متمسكين بالأمل والحياة والمستقبل.

وأظهرت الكارثة الحاجة القصوى لإقامة نظام إنذار مبكر في منطقة المحيط الهندي وكان هذا الموضوع محل نقاشات مطولة خلال ثلاث قمم ومؤتمرات دولية في جاكرتا وفيينا وبورتالويس لأن وجود أجهزة متطورة للرصد الزلزالي يقلل من حجم الكارثة ولو أن المأساة حلت بالولايات المتحدة مثلاً لكانت نسبة الخسائر المادية والبشرية أقل بكثير لامتلاكها انظمة حديثة وفرق انقاذ متخصصة وامكانيات كبيرة وسريعة لنقل المصابين وايصال مواد الاغاثة..

ورغم عودة الحياة الى طبيعتها في بعض الدول الآسيوية المنكوبة وتدفق أموال المساعدات والاغاثة الانسانية فإن هناك مناطق معزولة مازالت محرومة من هذه المساعدات لصعوبة الوصول اليها مما يزيد من مخاوف الأمم المتحدة من حدوث مجاعة بعد أن قدرت عدد المحتاجين بحوالي مليوني جائع بالاضافة الى خشية المنظمة الدولية من انتشار الأمراض والأوبئة إثر تأكيدها وقوع حالات من الاصابة بالحصبة في إقليم آتشيه الاندونيسي.

حيث استوقفت المعارك بين القوات الحكومية وحركة التمرد مايجعل الأوضاع أكثر تعقيداً ويعيق عمليات الاغاثة.

أما الخسائر الاقتصادية فلا تقف عند حد مثل كلفة إعادة بناء المدن والقرى المدمرة أو اصلاح المرافق المتضررة وتعويض الناجين بل يمتد الأمر الى جوانب أخرى ليس أقلها تباطؤ النمو الاقتصادي في الدول المنكوبة وتقلص الأنشطة السياحية وفقدان آلاف الوظائف وبالاضافة الى الأضرار البيئية في قاع المحيط فقد تغيرت خارطة المنطقة بظهور جزر جديدة وتحرك عدد من الجزر الصغيرة بعيداً عن مكانها الحالي إذ أن جزيرة سومطرة تحركت عن موضعها المعهود باتجاه الجنوب الغربي بمقدار ٢٦متراً وقلص الزلزال من سرعة دوران الأرض حول نفسها ليقل بذلك طول اليوم بمقدار جزء من الثانية وتأثر محور الأرض بهذه الكارثة..

وأمام جبروت الطبيعة ألا يكفينا التهاون باتخاذ الاجراءات اللازمة وأخذ الحيطة والحذر من أي كارثة مماثلة في حال غضبت الطبيعة مرة أخرى على الانسان الذي غير من ملامحها لخدمته.